جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مقياس : فكر شرقي- قديم- السنة الثانية ليسانس السداسي الأول: 2021-2022

د: بوزبرة عبد السلام

المحاضرة الأولى:

الإرهاصات الفلسفية ومغامرات العقل الأولى في الفكر الشرقي.

يجمع كل الباحثين على أن الحضارة إنما هي نتاج لتاريخ الفكر البشري وما تركه من آثار إبداعية لما يمتلكه من قوة عقلية فالإنسان منذ القدم لاحظ الظواهر والأشياء وتساءل من حولها، وبحث عن عللها وماهياتها وأصولها وعلاقاتها...هذا يعني أنه مارس فعل التفلسف بشأنها وأنشأ حضارة . إذا فالحضارة لا يمكن أن تنشأ بمعزل عن الفلسفة، ومنجزات الحضارة لا يمكن أن تُفهم إذا لم يتم تتبع الذخيرة الفلسفية لمختلف المجتمعات، هذا يؤكد على أن الفلسفة لصيقة بالحضارة، ومن الممكن تصور قيام حضارة أصيلة دون فلسفة بمستواها إلى الحد الذي دفع جون ديوي إلى اعتبارها قوة تاريخية حاسمة تقترن بكل تغير يطرأ على الحضارة ، واختلاف الحضارات على هذا الاعتبار متأت من الاختلافات الفلسفية التي تنشأ بموجبها. فنشأة الفلسفة بهذا المعنى الذي عرض له ديوي صارت منذ عصور بعيدة مشكلة من المشكلات الكبرى مفادها: أين نشأت الفلسفة ؟ لقد اختلف المؤرخون و الباحثون بشأن تاريخ الفلسفة وحول البواكير الأولى لنشأة التفكير الفلسفي ووقفوا من هذه المسألة موقفين مختلفين:

الموقف الاول: رد بداية التفلسف الانساني الى أرض اليونان حيث يذهب بعض المفكرين ومؤرخي الفلسفة إلى نفي الطابع الفلسفي عن الفكر الشرقي مستدلين على ذلك بجملة من الحجج من بينها،: أن هذا الفكر مرتبط بالدين والألوهية، حيث تعتبر هذه القضية مفصول في أمرها، إذ يكتفي العقل لديهم بتمجيد هذه الذوات...، بالإضافة إلى قضايا الأخلاق والسلوك المستمدين من الواقع فهو فكر مرتبط بالحياة أو الواقع يعود في أموره إلى الحكمة البشرية التي تغذيها التجربة الواقعية...ومن بين هؤلاء " زيلر لكسندر وبرنيث"وقبلهم في العصر اليوناني أرسطو الذي ردوا التفلسف الى بلاد اليونان وأن"طاليس" في المنتصف الأول من القرن 6م هو من تخطى التفسير اليثولوجي وأسس التفسير للطبيعي عندما تساءل عن حقيقة

الأشياء والعناصر المادية التي تصدر عنها وفي مقدمتها الماء . و البعض الآخر من المفكرين أكد أن التفلسف قد بدأ مع المدارس الثلاث المتعاصرة " الأيونية، الايلية، و الفيثاغورية" و البعض الآخر أكد أن الفلسفة بالمعنى الصحيح للكلمة ليست لطاليس وانما ل"سقراط "الذي أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض و الذي اشتهر بمقارعة السفسطائيين الذين كانوا يشككون في قدرة الانسان على الوصول الى الحقيقة ولم يكترث للبحث في الماورائيات بل وجه جل اهتمامه للأبحاث المتعلقة بالانسان ومن أبرز الآراء أيضا التي أكدت على صحة هذا الموقف عالم الاجتماع الأمريكي "بارنس" حيث يؤكد أن أي بحث منظم عن الظواهر الاجتماعية لم يبدا الا مع اليونان ويرى المفكر الانجليزي" تيودور كومبرز" بان الشعب اليوناني هو أصل الرقي و خالق الحضارة الانسانية و ليس لأي شعب آخر أن يدعي ملكية ما هو ملك خاص لليونانيين . لقد كان لشعب صغير أن يخلق مبدأ الرقي هذا الشعب لم يكن سوى الشعب اليوناني ، و اذا استثنينا قوى الطبيعة العمياء فاننا نقدر على القول أن لا شيء يتحرك في هذا الكون الا وهو ذو أصل يوناني ويرى "بيرنت ألايكوسي "ان الفكر اليوناني غير مدين الا بشيء قليل للفكر الشرقي و اننا لا نقدر أن نثبت وجود فلسفة عند المصريين أو البابليين انما الشعب الهندي هو الشعب الوحيد الى جانب الشعب اليوناني الذي كان له فلسفة حقيقية .والبعض الآخر من أنصار هذا الموقف المستشرق الفرنسي "رنان" و"كوزان" بالغوا الى حد أنهم ميزوا بين عقلية الشعوب المختلفة وتحدثوا عن خصائص ثقافية و ذهنية معينة لكل جنس من الاجناس البشرية حيث يزعمون ان الأجناس الشرقية تختلف في تركيبها الذهني و الثقافي عن الشعوب الغربية ومن ضمنها الشعب اليوناني ،فعقلية الشرقي هي أبعد ما تكون عن العقلية العلمية فهي لا تعرف النظريات التحليلية و التأليفية التي يتميزبها الفكر الغربي أو اليوناني والتي هي أساس تكون المذاهب والنظريات الفلسفية والعلمية على حد سواء و يعتقد هؤلاء أيضا أن الافكار الشرقية هي مجرد أفكار فطرية ساذجة بدائية لا تستحق أي دراسة تأملية عميقة لأنها لا تتضمن معلومات تستحق الذكر و لانها لا ترقى الى مرتبة النظريات العامة أو المذاهب الفلسفية الكبرى على غرار ما نلمسه و نراه في الفكر الغربي القديم أو الفكر اليوناني. أما **زيلر:** (1814ـ1904) الذي يرى أن الفلسفة ابتكار إغريقي، وان الأمم السابقة قد اختلط تفكيرها بالدين، وإن سلمنا بوجود بعض الفلسفة فيعوزها التعبير الفلسفي. وهو يرد تفوق اليونان على غيرها شعورهم القوي بالحقيقة، والوضوح والنظام والاعتدال، وقدرتهم الفائقة على التجريد والتخيل وتوافرهم على قدرات عقلية وانفعالية.

أما **ألكسندر:** يذهب ألكسندر إلى ما ذهب إليه زيلر فيقول:" إذا اعتبرنا أن الفلسفة هي البحث المنظم عن ماهية الأشياء، فإن مكانها الأصلي هو بلاد الإغريق، وبقدر ما نعرف فإن الهنود هم الشعب الوحيد مع الإغريق الذين كان عندهم ما يمكن أن يعتبر فلسفة، لكن لا يوجد باحث الآن يقترح أن الإغريق أخذوا فلسفتهم عن الهنود، بل العكس صحيح" وهو يرد عن القائلين بالأصل الشرقي للعلوم عند الإغريق بالاختلاف

الموجود بين العلمين، فعلم الشرقيين عملي، وعلم الإغريق نظري. ويرد تفوق الإغريق لعوامل جغرافية، وإلى حبهم الاستطلاع ومقدرتهم على التعميم، وحبهم الحياة، وإحساسهم بالجمال. أما **برنيت:** فيرى بأن الفكر الشرقي فكر أسطوري، ومن ذلك تفسيرهم لخلق العالم، وهو ما يختلف فيه عنهم الإغريق، حيث فضلا عن ردهم الأشياء إلى أصولها، فهم يطرحون أسئلة فلسفية من قبيل تساؤل الفلاسفة الطبيعين عن أصل الأشياء. كما يسبق الإغريق هؤلاء في تنظيرهم وتجريدهم، ويظهر ذلك في الرياضيات على عكس الشرقيين الذين لم يبلغوا هذا الحد، ولذلك: "فلا يوجد ـ في رأيه ـ كاتب من كتاب الفترة التي إزدهرت فيها الفلسفة اليونانية يعترف أنها أخذت شيء من الشرق.

غير أن هناك فريق ثاني من الباحثين و المؤرخين في تاريخ الفلسفة و نشأتها أمثال 'جوستاف لوبون " سارتون" "لويس رينو" هؤلاء يردون نشأة الفلسفة و بدايات التفلسف الانساني الى تراث الشرق القديم أي الى قدماء المصريين و البابليين و الكندانيين و الصينيين و الهنود و الفرس ،حجة هذا الفريق الذي ظهر الى الوجود منذ أواسط القرن الماضي هو أن الشعوب الشرقية القديمة كانت سبقت اليونانيين القدماء الى ابتداع حضارات زاهرة عرفت بعض العلوم النافعة و سادت فيها بعض الآراء الدينية السامية وهذه حقيقة يريد الفكر الغربي المتمركز حول ذاته يريد إنكارها وتشويهها .فالفكر الشرقي القديم هو مهد الفكر الإنساني وبواكيره الأولى ، فهو تلك الفلسفات التي قدمتها أمم الهند والصين وبلاد فارس وواد الرافدين وواد النيل ، وبلاد العرب بامتدادها الجغرافي من المحيط الى الخليج خلال حقبة التاريخ القديم. فالفكر الشرقي القديم موغل في القدم حتى العصر البدائي، ولا نستطيع وبتأريخ فاصل لبدايته، حيث أن معظم الحضارات الشرقية توغل حتى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، متلما هو الحال في حضارة واد الرافدين وحضارة واد النيل . فما هي سمات هذا الفكر ؟ **فجورج سارتون:** يرى أنه من السذاجة إهمال العلم الشرقي، فلولا ذلك التراكم الذي أحدثه الشرقيين في العلم لما كان علم يوناني، وهو يسمي عمل اليونان إحياء وليس خلقا. كما أن أجواء الخرافة التي نشأ فيه العلم الشرقي هو ذاته الجو الذي شهده العلم عند اليونان، ولولا ما قدمه الشرقيون لما تطور العلم عندهم. وهو يرى أن العم ينشأ حين يقرر بعض الناس حل بعض معضلات الحياة. كما أن التجريد الذي يقود للعلم النظري لم يقتصر على اليونان، كما أنه لا يأخذ طبيعة واحدة، فظهور الأعداد التي هي عملية مجردة ظهر حتى قبل حضارات الشرق...

بالغوص في سمات الفكر الشرقي القديم نجد أنه يمثل مصدرا لجميع اتجاهات الفكر في العالم الراهن، وأنه يميل إلى البساطة واللجوء إلى التفسيرات الخرافية، إذ يتضمن التفكير القديم تلاث موضوعات رئيسية وهي: طبيعة الكون، وظيفة الدولة، وقيم الحياة. كما أن هذا التفكير يختلط فيه الفكر التأملي بالتفاسير والمعتقدات الدينية. حيث يتمسك بالتراث والاحترام العميق لكل ما هو قديم . فضلا عن كونه يحتوي على

منظومة متكاملة من المعرفة، تشمل جل نظريات المعرفة وعلم النفس والاخلاق والميتافيزيقيا. وبالتالي هذا المعطى هو الذي سيجعلنا ننتقل بالحديث إلى اتباث معرفة الشرقين للفلسفة من خلال استحضار نماذج من الفكر الشرقي القديم .

يتمثل اتباث الشرقين القدماء للفلسفة من خلال العديد من المعطيات ، أولا السبق التاريخي ؛ حيت أن الحضارات الشرقية اسبق من الحضارة اليونانية. وان كثير من مؤرخي الفلسفة اكدوا على ان الفلسفة جاءت من الهند أي (الشرق). وهذا نلمسه في كثير من الافكار الفلسفية اليونانية التي هي ذات ملامح شرقية، ناهيك على اعتراف بعض فلاسفة اليونان بدراستهم في الشرق كأفلاطون وارسطو. و تأثر الغنوصية اليونانية الممثلة بأفلاطون و فورفوريوس بالغنوصية الهندية في نظريات الفيض والتناسخ. ادا ليس الراجح ان الفلسفة معجزة يونانية، وانها ليست لها صلة بما قبلها كما كان يردد بعض المؤرخين الغربيين، حيث يقولو ان الفلسفة بصورتها المعروفة نشأة في بلاد اليونان التي نبعت منها الحضارة الغربية، وذلك لكي يثبتوا تفوق العقل الغربي تبريرا للاستعمار الذي استعبد معظم العالم الشرقي في القرنين التاسع عشر والعشرين ، لذلك فهم يسمون الفلسفة بالمعجزة اليونانية لأنها نشأة فجأة وبصورة كاملة تقريبا، اد لم يسبقها مقدمات تمهد لظهورها، فيستدلون على ذلك بالمقارنة بين اوائل الفلسفة اليونانية والفكر الديني الشرقي، وبدلك ينكرون على الشرق معرفة الفلسفة ذاتيا، وفي دعائهم هذا يتناسون عدة امور منها هذه المسببات التي دكرنا سالفا.

ومن نماذج الفكر الفلسفي الشرقي القديم نأخذ اولا الفكر الذي احتضنه واد النيل اي في مصر القدمية ، والذي يتمحور حول ثلاث قضايا اساسية اولها "طبيعة الكون" ؛ فقد ارتبط الاهتمام الفلسفي بالمسألة الكونية، والذي يتجلى في طبيعة الارض المصرية، فخصوبة التربة التي وفرها نهر النيل جعلت المصري القديم يشعر ان ارضه هي الارض الوحيدة التي لها في الدنيا شأن. فجعل الشمس (اتون) هي الاله الاعلى، ونسب اليها اصل الكون. اما القضية الثانية فهي "وضيفة الدولة"؛ والتي تتجسد في الملك الاله ، ووظيفة الملك هنا ليست سياسية فقط ، بل وظيفة الهية (تدبير، وحكم ، وحياة وموت) . علاوة على ذلك نجد ان الانسان المصري فرق بين الانسان والمجتمع، والنبات والحيوان والكون والتي وتعود جميعها الى جوهر واحد هو الاله. اما القضية الثالثة فهي "قيمة الحياة"؛ حيث نجد ان القيم الاخلاقية عند المصري القديم قد تمحورت حول مبادئ السلوك المتعلق بآداب المائدة ، والمبادئ السلوكية التي ترضي الالهة ، اي القيم التي تنشد خلاص الروح والموت وخلودها، وبقاء الالهة. وللإشارة فالمصريون القدماء كانوا اول من ابرز فكرة الضمير الاخلاقي ، اد رأوا ان قيمة الاخلاق في الانسان ليست في خوفه من العقاب او الطمع في التواب، وانما في استجابة لضمير اخلاقي. كما ان المصريون هم اول من اكتشف النظام في الطبيعة، وان هذا النظام يرجع الى وجود اله خالق وعادل. كذلك عبر المصريون عن فكرة خلود الروح والبعث وحساب الانسان عن اعماله

الدنيوية بالميزان وما يترتب على ذلك من جزاء، اي تواب وعقاب . وقد اهتدوا المصريون القدماء الى فكرة التوحيد على يد الملك المصري اخناتون الذي جاء طول حياته لنشر الديانة التوحيدية.

اما إذا ذهبنا الى وادي الرافدين، سنجد بان هذه الحضارة بدورها عرفت فكر فلسفي ، تبلور في تلاث مراحل؛ المرحلة الاولى شملت (الكون والدولة) ، حيث ان الانسان البابلي القديم جعل الكون يتمحور حول الانسان ، اد ان جملة الظواهر الكونية غير منفصلة عن حياة الانسان ، فالنظام الكوني اشبه بالدولة ، وكل مكوناته وظواهره تمتل وظائف الدولة . اما المرحلة الثانية هي (الدولة الكونية) ؛ فالكون عند البابليين يظم كل ما في الوجود كالإنسان والحيوان والنبات والجماد والافكار المجردة ايضا مثل فكرة العدالة والحرية، ويقود الدولة الكونية زعامة الهية ، حيث ان هذا الكون مقسم الى قوى وظواهر سياسية كل منها يحكمها اله، حيث ان جميع الالهة تقوم بتدبير شؤون الكون كلها. المرحلة الثالثة شملت الكون ونظام الحياة، وفي هذه المرحلة سنتحدث عن قضيتين اساسيتين الاولى وهي اصل معالم الكون الرئيسية، والثانية كيفية تأسيس نظام العالم. فبالنسبة للقضية الاولى نجد ان الاسطورة ترجح ان الماء هو اصل الكون ومادته، وان هذه المادة تتألف من تلاث عناصر متداخلة، (المياه العذبة ، مياه البحر، والسحاب والضباب). اما القضية الثانية فان اساس النظام الكوني هو نتيجة صراع بين مبدئين هما القوة الدافعة الى الحركة والقوة الدافعة الى السكون. وبالتالي فان الفكر الفلسفي في واد الرافدين قد تأثر بالبيئة التي يعيشها الانسان البابلي القديم، حيث أن هذا الاخير قد اكتشف أن قوته تافهة أمام قوة الطبيعة، لأن وضع نهري "دجلة" و"الفرات" والظروف الطبيعية في العراق قاسية. وتعد الحضارة البابلية أكثر الحضارات اثرا في الحضارة الانسانية ، باعتبارها قدمت لنا شخصيات بارزة مثل حمورابي صاحب القوانين المشهورة ، وأيضا " نبوخذ نصر" وهو اشهر الملوك البابليين وأكبر محارب لليهود ومخرجهم من أرض المسيح (ارض فلسطين).

و إذا عرجنا نحو الفكر الفلسفي الهندي القديم سنجد بانه يشمل مجموعة من القضايا التي كانت صلب اهتمامه وهي اولا "الانسان الكامل" ،"التصوف" ، "وحدة الوجود"، "التناسخ" ، و"البطولة الدينية". ومن الآراء الفلسفية والدينية التي جسدتها هذه الحضارة نجد "البوذية" التي نشأة عن تعاليم بودا؛ والتي ترى أن حياة الانسان في الدنيا شر وألم وأن التخلص من الشر يكون بالاندماج في الوحدة الشاملة والعودة إلى الذات الاسمى عن طريق الزهد ومحاربة الرغبات والشهوات، فهي طبعا فلسفة يغلب عليها التشاؤم وتؤكد على وحدت الوجود وتقول بفكرة التناسخ، فقد اقام بودا تعاليمه على اساس ان الحياة نوع من الالم والالم راجع الى الشهوة والحكمة تكون في قمع الشهوات.

ثم بانتقالنا الى الفكر الفلسفي الفارسي نجد انه قد احتضن "الزرادشتية" ، "المانوية" ، و"المزدكية" فماذا نقصد بكل واحد منهما؛ الزرادشتية سميت بهذه التسمية نسبة الى زراد يشت وهو من اشهر فلاسفة

الفرس، وتتلخص آرائه الفلسفية في تقسيم الوجود الى قسمين؛ روحاني وجسماني ، الامر الذي اعطى لهذه الفلسفة صفة التفاؤل، لأنها تؤمن بأن النصر لمبدأ الخير . اما المانوية فسمية بهذه التسمية نسبة الى "ماني بن فاتك"، ومذهبه في الوجود هو نفسه الذي تحدث عنه زراد يشت ، لكنه يضيف بان النور هو العظيم الاول، باعتباره له صفة الازلية . أما المزدكية فسميت بهذا الاسم نسبت الى "مزدك الفارسي" الذي رأي بأن العالم يتكون من أصول ثلاثة؛ وهي الماء والنار والارض ، فهو يرى أنه إذا اختلطت هذه الاصول بنسب متساوية يتكون الخير ، و إذا اختلطت بنسب غير متساوية يتكون الشر.

واخيرا نتعرف على الفكر الفلسفي الصيني القديم الذي شمل ؛ المبادئ الاخلاقية الكونفشيوسية والتي تتمثل اولا في الفضيلة باعتبارها اداة لراحة الضمير ، تانيا الايمان بوجود اله واحد، ثالثا الاعتدال هو مقياس الاخلاق ، رابعا الحكمة هي معرفة الناس ومحبتهم، وخامسا مقياس الحكومة الصالحة ان يكون الحاكم فاضلا. وقد سميت الكونفوشيوسية بهذا الاسم نسبة الى كونفوشيوس وهو من اشهر فلاسفة الصين ، حيث تطلق على مجموع الآراء الفلسفية والمبادئ الاخلاقية التي نشأة عن تعاليم كونفوشيوس ، والتي تتلخص في قول ان الشخص من خلال تطويره لجوانبه الداخلية يمكن ان يصبح عظيما في سلوكه الشخصي وفي علاقته مع الاخرين وبذلك يعم الخير في المجتمع.

من هذا المنطلق يمكننا القول بان الحضارات الشرقية بلغت درجة عالية من التقدم في جميع المجالات ، وما تزال اثارها الباقية شاهدة بتفوقها . كذلك الفكر الفلسفي الشرقي كان مجزئ الى نوعين؛ فكر اسطوري معروف للعامة، وفكر تأملي سيري للكهنة ، حيث كان الكهنة يورثون افكارهم التأملية لأبنائهم فقط. وخلاصة القول يتضح لنا ان الانسان مند ان وجد وهو يتطلع بفكره وروحه نحو خالقه ، وادا اختلفت اسالبه في التعبير فهو لم يفشل ابدا في سر الوجود ووحدانية الخالق وحكمة الحياة وسيادة الفضيلة والقيم الانسانية السامية ، وهذا ما اكدته الديانات الالهية طوال التاريخ الانساني. كما تبين لنا ان لكل حضارة على حدى فكرا فلسفيا جعلنا ننفي الفكرة القائلة بان الفلسفة معجزة يونانية ،باعتبار جل افكار فلاسفة اليونان هي مستوحاة من رحم الفكر الشرقي القديم، وهذا إن دل فإنما يدل على دور حكمة الشرق في بزوغ فجر الفلسفة.